

بحوث قرآنية في التوحيد والشرك

(27) نفسه يعتبر الملائكة كَتَدَبَّةِ الأَعْمَالِ ويقول: (بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) . (1) وبذلك تقف على معنى التوحيد في التدبير والتأثير، وليس معناه خلوص كل موجود من التأثير وان آثار الأسباب تفيض من الله سبحانه بلا واسطة، بل معناه ان الآثار والمسببات، للأسباب نفسها، فالشمس مضيئة، والقمر منير والنار محرقة حقيقة، ولكن بجعل منه سبحانه، فالجميع من مظاهر أمره وإرادته. ومن زعم ان معنى التوحيد في الربوبية هو نفي الآثار عن الأسباب فقد نازع وجدانه، كما نازع الوحي المبين حيث إنّه يثبت الاثر الطبيعي لكل سبب وفي الوقت نفسه يربطهما بالله سبحانه، قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جَعَلَ لَكُمُ الْآرَاضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) . (2) تجد ان الوحي اعترف بسببية الماء لخروج الثمرات الطيبة وليست هذه الآية وحيدة في هذا الباب، بل في القرآن الكريم نماذج من هذا النوع، قال سبحانه: (وَفِي الْآرَاضِ مَرْقَطًا وَمُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِدْرٍ وَغَيْرُ صِدْرٍ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَخَ شَحَارُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْآلِ كُلِّ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) . (3) _____ 1 - الزخرف|80، 2 - البقرة|22، 3 - الرعد|4.